فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

إنه القرآن

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ : أحمد عبد المنعم

رابط المادة : http://www.way2allah.com/khotab-item-73017.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، محمد –صلى الله عليه وسلم–، يعني بادئ ذي بدء أشكر الأخوة في هذه المدينة المباركة على هذه الاستضافة، أسأل الله –عز وجل– أن يجعل أعمالهم خالصةً لوجهه وأن يتقبل منا ومنهم وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع الحبيب محمد –صلى الله عليه وسلم–.

تعالوا ندخل إلى القرآن

طبعًا الموضوع: مسألة الكلام عن القرآن، يعني حتى ندخل في الموضوع بدون مقدمات، هذا الكتاب العزيز، هذا الكتاب المبارك، إحنا عايزين الكلام في هذه الجلسة السريعة يعني مايبقاش مجرد إني قاعد باتكلم كلام بلاغي، يعني أنا مش عايز أقول كلام بلاغي عن القرآن، فالناس تطلع إحنا عمالين نتكلم عن القرآن، إحنا نفسنا نكسَّر الحاجز ده وندخل إلى القرآن.

أي حد لو سألته في الشارع انت بتعظِّم كلام ربنا؟ يقول لك طبعًا، ما بالك أهل المساجد؟! ما بالك العاملين لدين الله؟! ما بالك اللي نفسه ينصر دين ربنا؟! فده طبيعي، فللأسف إحنا مش عارفين قيمة زي ما ربنا قال: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" الأنعام:٩١، قيمة هذا الشفاء والبصائر والبينات والهدى والروح، كل دي أوصاف ربنا ذكرها في كتابه عن الكتاب، عن القرآن.

ماذا قال القرآن عن القرآن؟

تعالوا نشوف القرآن قال إيه عن القرآن؟ بادئ ذي بدء لازم نفهم إن القرآن ده صفة من صفات ربنا، صفة من صفات الله، الكلام.. تكلم الله –عز وجل– بهذا القرآن حقيقةً، لما تحس وقع ده في قلبك خالق السماوات والأرض، الذي سبحانه وتعالى قدرته مطلقة لا يُعجزه شيء، على كل شيء قدير، صفات المهابة كلها والعزة وصفات الرحمة: الرحيم، اللطيف، الرؤوف بعباده. تكلم بكلام لعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور، "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" إبراهيم:١

يبقى القرآن نزل، تكلم به الله؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا"، ربنا مايسبش المؤمنين، يتولاهم، أعلى صور الولاية "يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" البقرة:٢٥٧، ربنا يتولى الناس في كل حاجة لكن أعلى صور الولاية "يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ".

يبقى نفهم الأول إن القرآن عشان وإحنا بنتعامل معاه على حسب ما بتتعامل الأسس والقواعد والمشاعر اللي تجاه كتاب أو شخص بتعرف تتعامل معاه، يبقى لما نفهم إن القرآن اللي أمامنا ده تكلم الله به ليخرجنا من الظلمات إلى النور عشان ربنا مايسبناش تايهين، تَكلَّم بهذا الكلام ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وربنا قال إن القرآن هدى وبينات وبصائر وروح.

غياب القرآن يعني الظلام والضلال والمَوات

يعني لما غياب هذه الأوصاف بتخلي حياة الإنسان في ضلال وفي ظلام وتيه ومَوات عكس كل هذه الأوصاف، لازم الموضوع ده يصبح عندنا يقيني، يعني اللي حياته مفيهاش قرآن أو المجتمع اللي مفيهوش قرآن لابد أن يوقن أن حياته ضلال وظلام وتيه ومَوات، لازم يوقن كده حتى لو مرتبط بشيء آخر، لو مبتعد عن كتاب ربنا سبحانه وتعالى مفيش في حياته ولو آية، حتى بيقول لك المفروض أن تقرأ وِرْد القرآن.

يعني إيه وِرْد؟

كلمة الوِرْد دي جت في القرآن؟ الوِرْد "وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ" هود:٩٨، وبيساق أهل النار في آخر سورة مريم إلى جهنم وردا "وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا" مريم:٨٦ خلاص يعني وِرْدًا قال ابن عباس: "أي عطاشى" يعني إيه عطشانين؟ ترد الماء يعني إيه ترد الماء؟ ترد الماء يعني تيجي عطشان، تصدر من عند الماء "حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ" القصص:٢٣، الناس اللي بيرعوا، يبقى ترد الماء يعني تيجي عطشان، تصدر يعني تمشي من عنده شبعان، فكلمة وِرْد القرآن انت جاي للقرآن عطشان المفروض تطلع من عند القرآن وأنت ريان وأنت شبعان، المفروض بتيجي تتغذى من القرآن.

كن على يقين بأنك من دون القرآن ستضيع

عايزين نتعامل مع القرآن ببساطة كده، إن ده مصدر نور في حياتنا ولو غاب هنضيع، لا يمكن الإنسان يوقن إن القرآن فيه كل هذه الأوصاف وإن لو ابتعد عنه هيضيع وعنده المسألة دي يقينية ويكون ده التعامل بتاعنا مع القرآن! مستحيل.

مستحيل إنسان موقن مثلًا عنده امتحان، أو محتاج شغلانة؛ عشان يصرف ولو مااشتغلش هيموت من الجوع، أو ممكن يتسجن و..و..و وتلاقيه قاعد في البيت، ويقول لك يعني هأعمل إيه؟

يعني أيوه انزل دوَّر على شغل، اقرأ في الجرايد على إعلانات، انزل لفْ على الناس، يقول لك وأنا هأعمل إيه يعني أنا لسه هأنزل؟! مش مشكلة بقى.

يبقى انت تقول له: "يبقى انت مش مصدق إن الحاجات دي كلها تحصل فيك"، اللي أنا عايز أقوله ونخرج بيه النهارده إن لازم جواك طاقة تتحرك تجاه كتاب ربنا، انت تتصرف، انت تبحث وتسأل، لا يمكن تبقى موقن وتقول لي وأنا أعمل إيه يعني؟!

هل نصدق القرآن فعلًا ونتمسك به؟!

عمر بن عبد العزيز لما كان بيتكلم عن الآخرة كان بيقول للناس: "أنتم في أمرٍ المُصدقُ به أحمق والمُكَذبُ به هالك"، فالجملة مش مفهومة فابن كثير بيشرح في آخر سورة فصلت، بيشرح الجملة دي في التفسير، بيقول: الحياة اللي انتوا عايشينها دي بالنسبة للدار الآخرة اللي مصدق فيكم إن فيه دار آخرة.. أحمق واللي مُكذب إن فيه دار آخرة.. هالك، ليه بيقول كده؟! بيقول لأن لا يمكن ده إنسان مصدق وده حاله مع الآخرة! يبقى أحمق، مصدق وده حاله مع الآخرة! ومكذب هيهلك، فهل ده تعاملنا مع كتاب ربنا سبحانه وتعالى؟!

الواحد لما بيسأل نفسه، أنا باسأل نفسي أنا: انت بتقرأ في كتاب ربنا وربنا بيقول على القرآن كل هذه الأوصاف وبعدين حالي أنا مع كتاب ربنا كده؟! يبقى أنا أكيد في تيه، يبقى كل التيه اللي في المجتمع اللي إحنا فيه ده ومش عارفين نعمل إيه والتوهان اللي إحنا فيه.

طيب ما ربنا بيقول أنا نزلت لك نور، "تركتُ فيكم أمرينِ لن تَضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بهما: كتابَ اللَّهِ وسُنَّتي" حسنه الألباني

طيب إحنا ليه مابنتمسّكش بالقرآن، ليه مابنبزلش جهود؟، ممكن يكون فيه جهود بفضل الله طيبة، ممكن جهود حفظ القرآن وده رائع، وضع المصاحف؛ إنه يبقى عنده مصاحف، لأ احنا عايزين نتوغل أكثر من كده.

القرآن وحي خُصَّ به النبي –صلى الله عليه وسلم–

عايزين ندخل أكثر في علاقتنا بالقرآن، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم "ما منَ الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مِثلُه آمَن عليه البشرُ وإنَّما كان الذي أوتيتُه وَحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ" صحيح البخاري، يعني بيقول –صلى الله عليه وسلم– إن كل نبي خد من الآيات اللي تخلي البشر تضطر للإيمان "أُعطِيَ ما مِثلُه آمَن عليه البشرُ".

كانوا يشوفوا الآية يضطر حاجة من اتنين: يا يؤمن يا يجحد، إنما يقف بين الاثنين؟ لأ، يا يؤمن يا يعرف إن هي آية فيجحد، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول بصيغة الحصر، طيب ما النبي –صلى الله عليه وسلم– كان له آيات تانية: انشقاق القمر وخروج الماء ما بين أصابعه وتسبيح الحصى، كان له آيات أخرى، لكن خص آية واحدة، قال: "وإنَّما كان الَّذي أوتيتُهُ وحيًا أوحاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ".

عايزين القرآن يؤثر فينا

عايزين ندخل في مسألة إن القرآن يؤثر فينا، هأضرب لكم مثال: تخيلوا أم أمية لا تقرأ ولا تكتب، وابنها سافر، ابنها الوحيد اللي بتحبه وملهاش غيره، سافر اشتغل بره وبقاله عشر سنين شغال، فبعت لها جواب وابنها ده كان راجل فصيح وبتاع لغة عربية وأديب فبعت لها جواب كله بالحاجات البلاغية: "وإن القلب ليتضرم بالنار، ولقد قف شعر رأسي" فالجواب كله مكتوب بأسلوب بلاغي.

فالأم مسكت الجواب هي أساسًا مابتعرفش تقرا وتكتب، فمسكت الجواب، أول حاجة قعدت تُبوس في الجواب

وتحضن في الجواب وتعيط وهي لسه مش فاهمة إيه، وعمّالة تعيط وبعدين جابت واحد يقرأ لها ويفسر لها اللي في الجواب، فجابت راجل بتاع لغة عربية، فالراجل قاعد ماسك الجواب وبيقول لها ده بيقول إن القلب ليتضرم ويتضرم يعني يشتعل، هو الراجل عمال يفسر الكلمات وهي عمالة تعيط، هو الراجل عمَّال يقول الكلمة دي معناها كذا وهي عمالة تعيط، هي عمالة إيه، تعيط..

اللي جواها من مشاعر خلاها تفهم ما وراء الكلمات، هي جواها مشاعر لابنها منتظرة أي كلمة من ابنها، خلى كل كلمة تقول له: تاني، تقول له: استنى، عيد، تاني، قول تاني، قول تاني، وتعيط وتقول له: قول تاني، وتعيط. جواها مشاعر، المشاعر دي كانت أحسن حاجة.

الراجل اللي بيقرأ ما بيعيطش، الراجل اللي فاهم وبيعرف يقرأ ما بيعيطش ومش متأثر.. ليه؟ لأنه مش جواه المشاعر دي تجاه هذا الكلام. ده اللي أنا قصدي عليه.

إحنا ممكن نبقى فاهمين لكن مش عايشين، مش حاسين إن دي رسالة الله إلينا، فبنقرأها تاني تاني، قل لي بقى تاني دي معناها إيه؟ الله يقول هذا وانت بتعدي الكلام عادي! لا يمكن قلب مليء بالمشاعر تجاه ربنا يتعامل مع القرآن على إنه كتاب عادي، وإن هو فهم معنى الكلمة دي أو الكلمة دي معناها فقط؛ لأ، ده دي أول درجة من درجات المعاملة، لسه كلمة التدبر.

يعني إيه تدبر القرآن؟

" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" ص:٢٩ التذكر جه بعد التدبر، يعني إيه يتدبر؟ يعني إيه كلمة يتدبر؟ التدبر: النظر في دبر الشيء، ما وراء الشيء. هذه الكلمات وراءها من المعاني والمشاعر والعقائد ما وراءها إلى ما لا منتهى "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ" البقرة:٢٥٥.

على قدر قلب المؤمن ما بيشتعل إيمانًا ويتعلم دين ربنا –سبحانه وتعالى– تلاقيه بيتوغل في فهم ما وراء الآيات، وتكون الآيات دي نور في حياته.

كثيرٌ من آي القرآن لا يحتاجُ إلى تأويل

عايزين نحط قاعدة قالها شيخ الإسلام عشان الكلام يبقى للكل "كثيرٌ من آي القرآن لا يحتاجُ إلى تأويل" أغلب آيات القرآن مش محتاجة تفسير. أسألكم سورة ق لو أنا إدّيت المصحف وقلت لك: جزء تبارك أو سورة ق أو الحاقة أو أغلب السور، الزمر، شاور لي على عدد الكلمات اللي مش فاهم معناها، وعدد المواضع اللي محتاجة تتشرح عندك، هتجد بتشاور لي على ١٠% في الأكثر، ٢٠% والباقي "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" النور:٣٥، "اللَّـهَ لَـهُ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" البقـرة:١٠٧، "إِنَّ اللَّـهَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ" البقـرة:٢٠، "وَاللَّـهُ يَـرْزُقُ"البقـرة:٢١٢، "وَاللَّـهُ يُحْيِـي وَيُمِيـتُ" آل عمـران:١٥٦، الله يقصـم ظالمًـا، الله يخسـف بـأقوام، الله ينصـر مظلومين.

آيات القرآن تحتاج إلى قلب مُتعطش للهداية

جزء كبير من القرآن عن صفات الله، وجزء في الدار الآخرة في الوقوف في القيامة وقبل ذلك البعث والقيامة والجنة أو النار، أغلب هذه المعاني تحتاج إلى قلبٍ متعطشٍ للهداية، يبحث عن نور وعن غذاء.

إحنا سامعين سورة القيامة في صلاة المغرب، عدد الكلمات اللي مش فاهمها في سورة القيامة تُعد على أصابع اليد الواحدة، طيب أُمال سورة القيامة ما بتأثرش فينا ليه؟! يبقى ما حدش يقول لي: لا، أصل الموضوع محتاج علماء.

أنا باتكلم على تأثير "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" المزمل:٦ بتطأ القلب، "ناشئة الليل": أي المعاني التي تنشأ بالليل من قراءة القرآن في الصلاة، المعاني دي بتنزل على قلبك، بتطأه، بتغير شكل قلبك، بتغير ملامحك الداخلية، بتغيرك، القرآن لما بينزل على قلب مُتعطِّش مشتاق بيغيره.

أصناف الناس في التفاعل مع القرآن

يا جماعة عايزين نقول إن أخطر عملية بتتم في هذا الوجود هي عملية تفاعل القلب مع آيات القرآن، إيه الكلام ده؟ قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ مثلَ ما بعثَني اللهُ به عزَّ وجلَّ من الهدَى والعلمِ كمثلِ غيثٍ أصاب أرضًا" صحيح مسلم، كمثل إيه؟ غيثٍ، يبقى الوحي النبي –صلى الله عليه وسلم– شبهه بالإيه؟ الغيث مش المطر، الغيث ده اللي بيُغيث، اللي تحت محتاج، عطشان، مشتاق.

١– صنف يتعلم القرآن ويتفاعل معه

"كمثلِ غيثٍ أصاب أرضًا فكانتْ منه طائفةٌ طيِّبةٌ . قبِلتِ الماءَ فأنبتتِ الكَلأَ والعشبَ الكثيرَ" صحيح مسلم، فكان منها أرضًا طيبة عملت إيه؟ "أنبتت"، هو ده اللي أنا عايزه، تفاعل الوحي مع الأرض الطيبة، القلب الطيب عمل إيه؟ عمل عملية إنبات، العشب والكلأ الناس كلها تاكل منه، تداخل الماء مع الأرض، تداخل الوحي مع القلب، وانت بتقرا القرآن في قيام الليل أو قاعد بتتدبر القرآن، القرآن يغير في قلبك، تبقى إنسان جديد يبقى عندك نور للناس، دي أخطر عملية بتتم في الوجود.

٢– صنف يتعلم القرآن لينفع به غيره

لذلك الصنف التاني، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "فكانتْ منه طائفةٌ طيِّبةٌ قبِلتِ الماءَ فأنبتتِ الكَلأَ والعشبَ الكثيرَ وكان منها أجادِبُ أمسكتِ الماء فنفعَ اللهُ بها النَّاسَ" صحيح مسلم، في أرض أجادب وظيفتها إنها حفظت المية، ما عرفتش تعمل إيه؟ التفاعل ده، فكان دورها إن هي تحفظ الماء عشان توديها لناس تانيين يعملوا الإيه؟ هذا التفاعل. يبقى انت دورك يا تتفاعل مع الماء، يا تحفظ الماء، يبقى دور الداعية يا يتفاعل مع الماء ويدي للناس العشب والكلأ، يا يُبَلِّغ للناس الماء "رُبَّ مبلَّغٍ أوعَى من سامعٍ" حديث متواتر.

٣– صنف لا يتفاعل مع القرآن ولا يتعلمه لينفع به غيره

قال –صلى الله عليه وسلم– النوع الثالث: "إنَّما هي قيعانٌ لا تمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً" صحيح مسلم، القرآن ينزل على قلبه ما يمسكش ولا آية! تاني، عايزين نص تاني يشرح لنا تفاعل الوحي مع القلب.

نص يشرح تفاعل القلب مع الوحي

يقول الله عز وجل: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ"النور:٣٥. قيل: "مثل نور الله في قلب العبد المؤمن كمشكاةٍ" مشكاة: دي اللي هي الإيه؟ الطاقة، التجويف اللي في الحيطة، ده اللي بيتحط فيه الإيه؟ المصباح "كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ" النور:٣٥

يبقى الزجاجة غير المصباح؛ المصباح: دي الفتيلة اللي جوه دي اللي بتولع، اللي هي عارفين بتاعة الزيت لمبة الزيت دي، الفتيلة دي عبارة عن إيه في المثل، عبارة عن الفطرة والقلب السليم بتاع المؤمن، قلب المؤمن الطاهر النضيف عامل زي المصباح اللي بينور للناس، بينور للناس، والنور ده حواليه زجاج، الزجاج ده صدره.

القلب يستمد نوره من معاني القرآن

طيب المصباح ده، المصباح ده اللي هو قلب المؤمن يجيب النور منين؟ بيجيبه منين عشان ينور للناس؟ ما هو انت دلوقتي هي فيه لمبة بتفضل منورة لوحدها مش لازم يجيلها النور؟! لمبة الزيت دي انت بتجيب لها النور منين؟ من الزيت، عشان كده ربنا قال: "يُوقَدُ" إيه اللي بيوقَد؟ إيه اللي بيوقد؟ المصباح، اللي هو إيه في المثل؟ قلب المؤمن الطاهر، الفطرة السليمة بتاعته.

يبقى المصباح "يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ" النور:٣٥ صافية، زيتونة صافية، ما فيهاش..، قيل:"لا شرْقِيّةٍ ولا غرْبِيّةٍ" الشمس تطلع عليها في كل الأوقات، وقيل: مالهاش انتماء معين، هي "لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١، المهم، المصباح جاب الوقود من الزيت اللي جاي منين؟ من الشجرة. قيل الزيت اللي جاي من الشجرة ده: معاني القرآن اللي جاية من القرآن، يبقى القرآن بالنسبة لقلب المؤمن عامل زي الزيت بالنسبة للإيه؟ للمصباح.

ما دلالة الفعل يُوقَدُ؟

الفعل اللي إحنا عايزينه اسمه فعل يُوقَد، يعني إيه "يُوقَدُ"؟ بيقول لك "يُوقَدُ": يعني يديك حاجتين، ما قالش يستضيء؛ قال: "يُوقَدُ" يُوقَد تديك حاجتين: تديك ضوء، وتديك وقود، طاقة، يبقى القرآن يديك طاقة تلاقيك بعد ما تقرأ القرآن، تفهم معاني القرآن تلاقيك عايز تصلي، تلاقيك عايز تعمل الخير، تلاقي ما عادش في قلبك غِلّ، تلاقيك ناسي هموم الدنيا، يبقى يديك طاقة، ويديك نور، هي الكلمة دي اللي إحنا عايزيناها "يُوقَدُ" تفاعل القلب المؤمن مع القرآن بيبجي عن الإيقاد.

لابد من مكان طاهر حتى يتفاعل القلب مع القرآن

طيب "يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" النور:٣٥ الآية اللي بعدها إيه؟ "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ" النور:٣٦

العلماء قالوا: هو إيه اللي في بيوت؟ إيه اللي بيحصل في البيوت؟ الإمام الطبري بيقول: فِي بيوتٍ: الفعل بتاعها عايزين نفسر، أي جار ومجرور في بيوت، يعني لما نقول: في المدرسة؟ هتقول لي إيه؟ هو إيه اللي في المدرسة؟ لازم فيه حاجة بتحصل في المدرسة، أما أقول لك: في الشارع، أيوه إيه؟ يبقى الكلمة دي لازم تعود على حاجة، فكلمة "فِي بُيُوتٍ" النور:٣٦ من أول الآية، فقالوا: هو إيه اللي بيحصل في بيوت! فالإمام الطبري بيقول: "يُوقَدُ" النور:٣٥.

معادلة سورة النور التي تنتج النور

يبقى المثلث ده: قلب نضيف، قرآن، مكان طاهر يديك التفاعل لأخطر عملية بتتم في الوجود؛ عملية إنتاج النور للناس، التلت حاجات دول: القلب الطاهر، القرآن، المكان النضيف، المعادلة بتاعة سورة النور، والسورة اسمها سورة النور اللي بتدينا النور.

حديث النبي–صلى الله عليه وسلم– الذي جمع أطراف المعادلة

التلاتة مجموعين في حديث للنبي –صلى الله عليه وسلم– إيه هو؟ مين عارف الحديث؟ جاب ناس وقرآن ومسجد "وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم.." صحيح مسلم، من عظم هذه العملية، هذه عملية تشهدها الملائكة، حفتها الملائكة مش تشهدها بس، بتحفهم الملائكة، غشيتهم السكينة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم، احتفاء كوني بمجلس في مسجد في آخر البلد مطرف، خمسة ستة قاعدين عايزين ينضّفوا قلوبهم وماسكين كتاب ربنا يقرؤوا ويفْهَموا ويفَهِّموا كلام ربنا.

هذه العملية هي عملية بناء إنسان

العملية البسيطة دي أخطر العمليات اللي بتتم على وجه الأرض، أخطر من إنشاء مُفاعل نووي، دي عملية بناء إنسان، دي عملية إنتاج نور لإنقاذ العالم من التيه، دي عملية إخراج النور اللي هيُخرج الناس كلهم، أول سورة إبراهيم "لِتُخْرِجَ النَّاسَ" كلهم "مِنَ الظُّلُمَاتِ" كلها "إِلَى النُّورِ" كله عشان كده اسمها إبراهيم، إمام، سورة الأئمة، "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" إبراهيم:١.

الدعوة رسالة عالمية

لذلك لمَّا النبي –صلى الله عليه وسلم– كان تساؤلات هيعمل إيه لوحده، كان لوحده –صلى الله عليه وسلم– أول من بُعث وحيدًا، قال: "لقد أُوذيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحَدٌ ، وأُخِفتُ في اللهِ وما يخافُ أَحَدٌ" صححه الألباني، كان لوحده بيتأذى في الأول، طيب يعمل إيه؟

فتساؤلات إزاي يوصل بالمجتمع وهو لوحده، إن ربنا بيقول له في أول سورة الفرقان ودي المرحلة اللي احنا نفسنا نوصل لها إن يبقى فيه فرقان في المجتمع بين الحق والباطل، في أول السورة ربنا بيقول له "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ" الفرقان:١، ألَّه يعنى أنا دوري مش على قد قويسنا؟ دوري لإيه؟ "لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١ طيب إزاي؟!

فربنا يقول له في سورة الفرقان؛ لأن أحيانًا ممكن الداعية يستثقل هذا الحِمل، أو يتعجب هيعمله إزاي فربنا بيقول له "وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا" الفرقان: ٥٠، قيل الهاء دي عائدة على المطر اللي جت في الآيات اللي قبلها، ربنا وزع المطر وخلى المطر يعني مش في حتة واحدة في العالم بينزل فيها المطر فعايز المطر ييجي في المكان ده، ده مابيحصلش، ده مش من سنن ربنا في الحياة.

يعني مش مثلًا الدنيا بتمطر في الجزيرة العربية بس فاللي عايز مطر يروح الجزيرة العربية، لأ ربنا ما عملش كده، ربنا خلى المطر يُروح للناس لغاية أماكنهم، "وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا" وبالرغم من كده "فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا" ربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– أنا كان ممكن أعمل معاك زي ما عملت مع المطر "وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا" الفرقان٥٠: ٥١.

كان ممكن ربنا يبعت رسول للجزيرة العربية ورسول لمصر ورسول لأفريقيا ورسول لآسيا، مش كان ممكن ربنا يعمل كده؟ ربنا بيقول له ما تستثقلش الحمل أنا كان ممكن أعمل زي ما عملت مع المطر، ما هو دايمًا المطر، الماء، الغيث، القرآن دايمًا بيتشبه بحاجتين إنه نور وإنه ماء، الحياة والحياة الصح النور، يعني الماء يديك الحياة والنور يخليك تحيا الحياة الصح، هو ده القرآن، فربنا بيقول له "وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا" الفرقان: ٥١

طيب الحل إيه في الوصول للعالم؟

طيب أنا لوحدي وأوصل للعالم إزاي؟ "فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" الفرقان: ٥٢، الهاء دي عائدة على إيه؟ على القرآن "وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" الفرقان: ٥٢

يعني الحل إنك تصنع نماذج فرقانية من القرآن فهما اللي يروحوا في كل حتة في العالم، بس الحل إن يبقى معاك القرآن، لو انت مامعكش القرآن مش هتعرف تعمل حاجة، لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ" إيه الحق ده؟ " قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ* قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ" سبأ٤٨: ٥٠.

النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول لهم أنا ما ليش أي هداية إلا بالقرآن "وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي"سبأ: ٥٠.

أهل الباطل عارفين خطورة القرآن أكتر من المسلمين

المصيبة للأسف إن أهل الباطل عارفين خطورة القرآن أكتر من المسلمين، عشان كده كان دايمًا أهل الباطل لما ييجوا يتكلموا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– يقولوا هذا القرآن مش أي قرآن اللي في إيدك ده، اللي معانا ده، راحوا له قالوا له "ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا" يونس: ١٥، مش مشكلة القرآن بس اللي معاك ده مش عايزينه، مش قادرين عليه، عشان كده كانت المعركة بينهم "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" فصلت: ٢٦، بيقولوا جايز نكسب، ده هو حتى حاسس باليأس، لمَّا المشرك بيتحط قدّامه القرآن عارف إنه يخسر،

هو عارف، الآية دي جت في سورة إيه "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" في سورة إيه؟ في سورة فُصلت.

معركة المشركين مع القرآن كما بينتها سورة فصلت

سورة فُصلت أولها راحوا للنبي –صلى الله عليه وسلم– قالوا له بص "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" احنا حاطين قلوبنا عشان انت مش هتعرف تأثر فينا، مُستحيل تأثر فينا، قلوبنا كده شايلينها وحاطينها في اشولة "فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ" قلوبنا شلناها وربطناها وحاطين وقر في ودانا وبنينا سور بيننا وبينك "فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ" فصلت:٥ خلاص دي بداية سورة فصلت.

أبو الوليد عتبة بن ربيعة راح للنبي –صلى الله عليه وسلم– يُساومه، يقول له لو عايز مُلك نديك مُلك، لو عايز نساء نزوجك، لو عايز تبقى انت رئيس هنخليك رئيس، وقعد يسأله أسئلة فيها نوع من الإحراج، يقول له: "أنت خير أم عبد المطلب"، فلو قال له أنا هيقول له يعني انت بتشتم جدك؟، "أنت خير أم عبد الله؟"

النبي –صلى الله عليه وسلم– ماردش على كل الكلام ده كله ودي أخطر حاجة بتحصل إن احنا ننشغل بشخصنة الموضوع، النبي –صلى الله عليه وسلم– سابه يخلص خالص قال "أفرغت يا أبا الوليد" خلصت، كل الكلام اللي عندك خلصته، قال "نعم" "قال: اسمع مني "فقرأ عليه سورة فصلت، شوف أول السورة وهم بيقولوا مستحيل تأثر فينا، آيات قرأها النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قام أبو الوليد عمل إيه؟ "فأمسك عتبة على فيه وانشده الرحم ليكف عنه"، مش انت كنت عامل فيها جدع وبتقول لا يمكن القرآن يؤثر فينا وقلوبنا في أكنة؟! شوف آيات عملت فيه إيه!

جهد أهل الباطل لصرف الناس عن القرآن

عشان كده شوية لما السورة كملت في الآيات في سورة فصلت "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ" مش انتوا كنتوا بتقولوا القرآن ده لايمكن يؤثر فينا، الوقتي خايفين من القرآن ليه؟! "لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ" ومش بس كده "وَالْغَوْا فِيهِ" فصلت:٢٦ يعني إيه والغوا فيه؟

شوف جهد أهل الباطل لصرف الناس عن القرآن، لو انت قعدت تجمع كده، أهل الباطل عملوا إيه عشان يصرفوا الناس عن القرآن؟ "وَالْغَوْا فِيهِ" قيل يعني أثناء القراءة يشغلوا أغاني ومعازف وطبل وزمر، بحيث الناس قلوبها تنشغل لأن القرآن عايز قلب مُتفرغ زي ما قلنا بقى مشكاة، مصباح نضيف، قلب طاهر، قرآن، مكان طاهر، التفاعل ده يديك النور، "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ"النور:٣٦، "وما اجتمعَ قومٌ.."صحيح مسلم.

لابد أن نُطبق معادلة انتاج النور

المعادلة دي لازم تعملوها، لازم كل مجموعة في مسجد ويتجمعوا مع بعض، عشان كده لازم القلوب تبقى طيبة، لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول في صحيح مسلم "اقرَؤا القرآنَ ما ائتلفتْ عليه قلوبُكم . فإذا اختَلفتُم فيه فَقوموا" صحيح مسلم.

لو القلوب باظت واتخانقتم مع بعض وده مش طايق ده وده منفسن من ده وقاعدين مع بعض القرآن مش هيفيدكم في المرحلة دي، يبقى لازم قلب طاهر وكلام صافي –القرآن– ومكان طاهر، المعادلة دي تُخرجنا إلى النور.

المشركين يلغوا في القرآن حتى لا تصل كلماته

المشركين بيعملوا لغوا في القرآن، قيل وده من المعاني الجميلة في القرآن، قيل "وَالْغَوْا فِيهِ" فصلت:٢٦ أي في كل كلمة من كلماته، خايفين كلمة واحدة بس توصل من القرآن.

عشان كده كان المشركين على أطراف مكة كان بيطلعوا برة مكة وأي حد داخل المدينة يوزعوا عليه القطن مجاني، عاملين حملة لتوزيع القطن مجاني اللي هو بيسموه القرصف، عشان أي حد يحط له في ودانه القطن عشان مايسمعش كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا عاملين حملات مجانية لتوزيع القطن مجانًا، فكان اللي يدخل مكة داخل في ودنه إيه؟ القُرصف القطن، احنا عايزين ننزع القرصف ده، القرصف ده الآن مش قطن، القرصف ده ألف موقع صارف الناس عن ربنا، ألف قناة، ألف برنامج، شهوات، مشاكل، عايزين ننزع بس القرصف.

عايزين ندّي لنفسنا فُرصة نسمع القرآن

والله كتير من آيات القرآن عايزة بس قلب حاضر وذهن صافي وتلاقي القرآن غيَّر حياة الناس، كان ممكن قاطع طريق بيسرق، جاي يسرق من البيت يسمع واحد بيقرأ بالليل فتلاقيه يتأثر ويتوب، دي مش قصص خيالية ده واقع، احنا مش مُوقنين إن كلام ربنا فيه كل ده، النور والهدى والبينات، احنا مش موقنين؛ لأن لو موقنين لا يمكن ده يبقى التعامل، لا يمكن مستحيل، دي علاقتنا؟ دي علاقة المسلمين؟!

المشركين عزلوا الناس عن كلام الله

المشركين فكروا بكل طريقة، حاولوا يبعدوا الناس عن اللغة العربية، بقى أغلب الناس لو قرأ كتاب عربي يقول لك أنا عايز ترجمة.. وهو أصلًا عربي! يقول لك أنا عايز ترجمة للكلام ده، فبقت كتب الدين اللي فيها شروح الدين هو مش فاهمها فعزلوا الناس عن كتاب ربنا وهو "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ" الزمر:٢٨ قرآن عربي، مش عارف يفهم القرآن.

مثلًا قصة مشهورة لواحدة ألمانية تقريبًا كانت تقرأ القرآن العربي وبعدين تقرأ ترجمة العربي للإنجليزي وبعدين تقرأ من الإنجليزي للألماني عشان تفهم! في الآية الواحدة! عشان عايزة تفهم كلام ربنا، عايزة تفهم رسالة الله إلى البشر، الرسول سُمي رسول لأنه جاء برسالة اللي هو القرآن، فالشاهد احنا عملنا إيه؟، جاهدنا أد إيه عشان نفهم كلام ربنا؟

لازم ناخد خطوات عملية في حياتنا

ماينفعش حياتنا عمَّالة تعدي ولمَّا نيجي أبسط وأوضح وأقصر السور ما بنعش معها وما بنعرفش عنها حاجة، السور اللي الأطفال حافظينها كانت بتقلب ناس، كان فيه واحد من الصحابة عايش مع سورة الإخلاص، يصلي بيها في كل

وقت وعايش معاها.

واحد مع سورة الزلزلة، ييجي الأعرابي النبي –صلى الله عليه وسلم– يقرأ عليه سورة الزلزلة فيكتفي بها، يقول له دي تكفيني، كان كل واحد له معاني بيعيش معاها، طيب احنا لمَّا نيجي نسألك إيه الآيات اللي انت عايش معاها؟ إيه السورة اللي أثرت في حياتك؟ ماينفعش تبقى الإجابة مافيش، ماينفعش أُمال بتتغذى إزاي؟!

حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في البخاري في أول نزول الوحي، أمنا عائشة وهي بتقص الخبر تقول جاءه جبريل، الحديث المعروف "فقال :اقْرَأْ، فقال له النبيُّ –صلَّى اللهُ عليه وسلَّم– فقُلْتُ :ما أنا بِقَارِئٍ، فأخَذَني فَغَطَّني الثالثة حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ.." فقرأ عليه الخمس آيات من سورة اقرأ، فتقول "فرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوادِرُهُ" صحيح البخاري، "فرَجَعَ بِهَا" الهاء دي اللي هي إيه؟ اللي هي الخمس أيات، أنا عايز كل ما تسمع القرآن أو تسمع درس ترجع بحاجة، بآية تبقى راجع بيها البيت، غيرت حياتك.

لذلك احنا المفروض دور الدعاة أساسًا هو كده، هو كسر الحاجز بين الناس وبين القرآن، فيه حواجز أقيمت، فيه أكنة، وقر وحجاب، ده جهد المشركين، المشركين عرفوا إنهم مش هيعرفوا يعملوا حاجة مع القرآن، أيقنوا بده، فبدؤوا يلغوا في القرآن، يأولوا القرآن إنما عرفوا إن القرآن محفوظ، أيقنوا فبدؤوا اللغوشة، فدورنا احنا ودور أي مسلم إزالة اللغوشة دي عن نفسه وعن الناس، ده دورنا بس، دورنا ببساطة إيصال القرآن للناس واضحًا، وكل واحد قلبه بيشرب من القرآن على مافيه من معاني وما فيه من مشاعر.

تأملات من سورة البروج

سورة البروج تتكلم عن قصة أصحاب الأخدود والقصة ملخصها ملك ظالم وكان عنده ساحر ومانع الناس من الإيمان، ربنا قدَّر إن فيه غلام يدعو الناس إلى الإيمان، الغلام مات والمجتمع كله أسلم، عمل إيه الملك الظالم ده، عمل أخاديد يعني عمل زي أنفاق في الأرض ولَّع فيها النار وحرق المجتمع كله.

تخيل قصة زي دي بتُقص على المسلمين في مكة، والمسلمين في مكة مش عارفين إيه اللي هيحصل، يعني احنا عارفين إن هما هاجروا بعد كده وراحوا المدينة، هما ما شفوهاش قبل كده وما كانوش عارفين إيه اللي هيحصل، هما قاعدين في مكة ومش عارفين إيه اللي هيحصل، هما عارفين إن ربنا هينصر الدين، طيب احنا مش عارفين إيه اللي هيحصل فينا.

فتنزل سورة البروج وكأن أحد الاحتمالات اللي ممكن تحصل إن كل المسلمين يحصل لهم إيه؟ يموتوا، أحد الاحتمالات، فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– "فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ" غافر:٧٧، جايز تموت وما تشوفش وجايز تشوف جزء من كل، خلاص، في آخر سورة البروج من شدة التعذيب بقى في مكة واللي واقع في السورة من قتل غلام الأخدود وقتل الناس إبادة جماعية، فربنا بيقول لهم إيه "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ" البروج ١٢: ١٦.

معركة المشركين مع القرآن خسرانة لأنه محفوظ من الله تعالى

اللي انتو بتعملوه ده يا قريش من التعذيب عمله اللي قبلكم، "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" هيروحوا من ربنا فين؟ "وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" فجأة ربنا بيقول إيه "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ" يعني إيه "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ"؟ "فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ" البروج١٧: ٢٢.

يعني إيه؟ الخطاب ده للمشركين معناه إيه؟

معناه افعلوا ما شئتم واقتلوا مَن شئتم وأبيدوا مَن شئتم فإن القرآن محفوظ، وطالما أن القرآن محفوظ هو يصنع الرجال فمعركتم خسرانة، خسرانة، لأن معركتم الحقيقية مع القرآن ولن تستطيعوا.. الموضوع مُنتهي، آخر السورة بعد ما أبادوا "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ" له المجد وله العزة والشرف.

المشركون فشلوا في تحريف القرآن

عشان كده ربنا بيقول عن القرآن في سورة فصلت "وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ" فصلت٤١: ٤٢، "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"، يعني إيه؟ لأن هما حاولوا يأتون من بين يديه ومن خلفه ما عرفوش، حاولوا من كل الطرق، حاول مرة يحرَّفه، حاول يعمل كتاب مضاد، الكتاب الفاجر اللي عملته أمريكا اللي سموه الفرقان الحق، الكتاب الفاجر اللي مكملش شهرين تلاتة، ومن أول ما نزل القرآن وربنا بيتحداهم.

ما هو ربنا بيقول لهم انتوا بتعملوا إيه، "فَأْتُوا بِسُورَةٍ" البقرة:٢٣، بس تحدي، اجتمعوا كلكم وأتوا بسورة لن تستطيعوا، فلمَّا يبقى المشركين فاهمين ده تجاه القرآن فقرروا إن المعركة هي إن القرآن ما يوصلش للناس بكل الطرق، كل الطرق، صرف، لغو، شهوات، بُعد عن اللغة العربية.

تخيل إن أحيانًا احنا بنقوم بالدور ده! المسلمين بنقوم بهذا الدور إن احنا نبعد الناس عن القرآن عشان كده ربنا بيقول في سورة فصلت: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ" فصلت٢٦: ٢٧.

ربنا قال أسوأ حاجة كان بيعملها المشركين إيه؟ إنهم يصرفوا الناس عن القرآن "فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا" اللي هما في الآية اللي قبلها "عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ" فصلت ٢٧: ٢٨

وبعد كده الآية اللي بعدها على طول "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ" فصلت:٢٩

جابت مشهد صرف الناس عن القرآن فربنا بيقول أسوأ حاجة يعملها المشرك واللي هيستحق عليه أشد العذاب إنه يبعد الناس عن القرآن.

عشان كده جاب الناس اللي تأثرت بكلامهم وبعدوا عن القرآن قالوا: "رَبَّنَا.." جايين بقى يفوقوا يوم القيامة "رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا" فصلت ٢٩: ٣٠.

ما معنى الإلحاد في آيات الله؟

لذلك في نفس السورة أيضًا سورة فُصلت والسورة اسمها فُصلت يعني إن القرآن مُفصل وواضح، في نفس السورة ربنا بيقول إيه "إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا" فصلت: ٤٠، يعني إيه "يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا"؟ اللحد يعني إيه؟ اللحد في اللغة يعني إيه؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "اللَّحدُ لَنا والشَّقُّ لغيرِنا" صححه الألباني، أهل الكتاب بيعملوا القبر حفرة كدا في الأرض، لأ إحنا مفروض نعمل حفرة وبعدين نعمل إيه؟ حته في جمب كدا بنسميها اللحد، يعني تلاقي القبر الشرعي هو حفرة وبعدين حفرة كمان في الجمب كدا، هي الحته دي اسمها اللحد فالميل ده بنسميه اللحد.

ف "يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا" فصلت: ٤٠ بيحاول يخبي آيات القرآن، بيحاول مايظهرهاش ويحاول لما تؤثر في الناس يصرف التأثير ده.

صرف الناس عن الآيات الكونية

وكذلك في الآيات الكونية زي مثلًا الخسوف والكسوف، النبي –صلى الله عليه وسلم– لمَّا يحصل الخسوف والكسوف يدخل ويخرج ويدخل ويخرج، ويقوم ويصلي أطول صلاة، دلوقتي الناس لمَّا يحصل الخسوف والكسوف بيعملوا إيه؟، بيجيبوا نضارات علشان ماتؤذيش عنيهم ويطلعوا في مكان سياحي مع بعض يتفرجوا على الإيه؟ الكسوف والخسوف!

فبقت الآيات اللي كانت تذكير للناس تحولت إلى صرف لناس عن إيه؟ عن دين ربنا، تجد إن ده بقى أغلب الأماكن، شوف المقابر.. تلاقيها دلوقتي بيتطاولون في البنيان في المقابر، المقبرة الفلانية معمولة بالرخام مش بالسيراميك، والمقبرة بقى اللي جمبها بتاعة عيلة فلان لأ لازم تبقى أحسن من مقبرة فلان، بقت زيارة أماكن المقابر تذكر بالدنيا مش بتذكر بالآخره!

تلاقي في المستشفى العيان يروح مستشفى الأورام عندنا ولا حاجة، تلاقي عايزين يكرموا المريض يحطوا له في كل أوضه التليفزيون، يشغلوا له تمثيليات، فبدل ما هو يتذكر..

دا حتى الواحد من الحاجات العجيبة –ربنا يرزقنا وإياكم الحج والعمرة–، تيجي تروح المدينة فتروح تزور شهداء أُحُد، فتلاقي جبل الرماة البيَّاعين طالعين جبل الرماة يبيعوا فوق، الناس طالعة تفاصل فوق جبل الرماة، المكان ده أصلًا كان النزول من عليه بسبب الدنيا لأنه كان هو سبب الهزيمة، فتلاقي الناس رايحة هناك بدل ماتتذكر إن ممكن الدنيا تضيعنا.. رياحين يتذكروا الإيه؟ الدنيا!

أصبح أغلب الأماكن اللي تذكِّر بالله أو الأحداث يحاولوا يخبوها، والشيطان يصرفها مايخلكش تذكر، كذلك يفعلون مع القرآن، يبعدوا الناس عن تأثير القرآن، يحاولوا يشككوا ويطعنوا في القرآن.

دورك تفهم ولو آية

لكن دور المسلمين، يبقى انت دورك ببساطة عشان نخرج بحاجة، دورك ببساطة افهم ولو آية، علشان كدا رسول –صلى الله عليه وسلم– "بلغوا عني ولو آيةً" صحيح البخاري، قال: "بلغوا عني ولو آيةً" ولو آية واحدة، انت دورك فاهم ولو آية هتكون نور لك، لذلك أمنا عائشة لمَّا سئلت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قالت: "كان خلقُه القرآنَ" صححه الألباني.

دور الدعوة أن تصل لحالة الفرقان بين الحق والباطل

لذلك إحنا المسلمين، نفسنا نوصل المجتمع اللي احنا عايشين فيه يوصل لحالة من وضوح بين الحق والباطل بحيث بعد كدا "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ" الأنفال: ٤٢.

نفسنا نوصل لكده، دا دور الدعوة إن هي توصل لحالة من الإيه؟، بنسميها حالة الفرقان بين الحق والباطل، لذلك "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ" دي جاءت في سورة الأنفال اللي شرحت غزوة بدر، اللي ربنا سماها يوم الفرقان، يبقى "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ" دي بتتقال امتى؟ لما بنوصل لحالة من الوضوح، اللي الناس تشوفه تقول ده دين وده مش دين.

المسألة مسألة دين

عارفين المشركين وهم رايحين يقتلوا النبي –صلى الله عليه وسلم–، النبي –صلى الله عليه وسلم– ترك اللي ينام في مكانه مين؟ سيدنا علي بن أبي طالب، طيب ليه النبي –صلى الله عليه وسلم– ساب سيدنا علي ينام مكانه في الفراش؟ علشان يعمل إيه؟ علشان يرد الإيه؟ الأمانات.

الأمانات دي أمانات مين؟ الكفار، اللي رايحين يقتلوا مين؟! هما رايحين يقتلوه عاينين عنده الأمانات!، يعني الكفار هم عارفين إن ده دين، إحنا نفسنا نوصل لكدا، إن حتى اللي يعاديك يقول اللي انت بتعمله ده دين، المجتمع يقول ده دين.

قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم

أبو سفيان لمَّا راح عند ملك الروم هرقل، وكان الكلام ده قبل بعد غزوه أُحُد، هرقل ملك الروم سأل أبو سفيان أسئلة على التطبيق العملي لأخلاق المسلمين، قعد يقول له ويسأله: "أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟" قال له: "بل ضعفاؤهم" أكتر، قال له: "يزيدون أو ينقصون؟" قال له: "لا بل يزيدون"، قال:"هل يرتَدُّ أحَدٌ منهم عن دِينِه بعدَ أنْ يدخُلَه سَخْطةً له ؟" قال له حد بعد ما بيمشي معاه بيسيبه؟ قال: لا، قال: "لا ، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب كذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب"، قال: "هل يَغدِر؟" بيغدر؟ قال هل يغدر؟ قال: "لا"، بيسأل على التطبيقات العملية لمعاني القرآن، موجودة، قال دا دين، عرف إن ده نبي، قال: "ولو كُنْتُ عندَه

لَغسَلْتُ عن قدمَيْهِ ولَيبلُغَنَّ مُلْكُه ما تحتَ قدَميَّ" صحيح البخاري، هو عرف إن ده دين.

عايزين نصل لحالة الفرقان

إحنا نفسنا نوصل لحالة الفرقان، حالة الفرقان دي اللي هي موجودة في سورة الفرقان اللي ربنا قال عليها في الأول "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ" الفرقان:١، آخر الفرقان ربنا بيقول: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا * وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا" الفرقان ٦١: ٦٣.

يبقى إحنا عايزين عباد الرحمن اللي بيقروا الفرقان ويطبقوا معاني الفرقان، فيمشون بين الناس هونا، كدا المجتمع ينصلح، ببساطة هو ده ببساطة الموضوع، مش حاجة يعني عايزة حسبة، هو الموضوع ببساطة "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا" دول مين؟ دول اللي في سورة الفرقان اللي تخلقوا بأخلاق الفرقان، آية تفهمها وتستنير بيها وتتخلق بها،"كان خلقُه القرآنَ" صححه الألباني تبقى في أخلاقك.

عايزين نرى القرآن يقينًا

لمَّا مؤمن آل فرعون بيقول لهم: "يَا قَوْمِ" سورة غافر "يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ" غافر:٣٩، هو كان شايفها متاع، مش كان بيمثل، ماكانش بيمثل عليهم، هو كان الموضوع ده عنده، هو شاف في القرآن يقينًا، انت بقى المفروض دورك تشوف في القرآن يقينًا.

"اعْلَمُوا" دي حاجة لازم تعلمها وتتعلمها، "أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ" الحديد:٢٠، لازم تبقى المعاني دي جوّاك، تنزل تشرب المعاني دي بالليل، وتنزل في المجتمع المجتمع يتغير، المجتمع محتاج يشوف دين بجد، الناس نفسها تشوف دين بجد، نفسها تشوف القرآن.

عايزين نتخلق بأخلاق القرآن

ياسيدي آية تمشي على الأرض، بلاش قرآن، عايزين آيات تمشي على الأرض، نتخلق بأخلاق القرآن، قرآن، قال ربنا سبحانه وتعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ" الملك:١٤، الله عز وجل تكلم بهذا الكلام ليصبح هذا المخلوق وهو الذي خلقه وهو أعلم بما يصلحه، ربنا أعلم إيه اللي يصلحه؛ علشان كدا القرآن كتاب اللي هيتعامل مع القرآن على إنه مجرد كتاب ممكن يخرج منه بمعلومات بس مش هيتغير، اللي هو التفاعل اللي شرحناه في أول الدرس، التفاعل ده مع القرآن مش مع الكلمات اللي موجوده، يعني ممكن الإنسان مفكر فتلاقيه هو مفكر فعمّال يطلّع أفكار حلوة من القرآن، مش ده اللي احنا عاوزينه، دلوقتي احنا عاوزين التفاعل.

جاهد نفسك في فهم القرآن

التفاعل اللي قلبك، النبي –صلى الله عليه وسلم– "فما من مرةٍ يُوحَى إليَّ" إلا من شدة الوحي وثقله عليه

"إلا ظننتُ أن نفسِيَ تُقبضُ" ضعفه الألباني، كل مرة كان بيكابد نزول الوحي، عاوزك كل مرة انت بتجاهد نفسك، إن الآية إنك تفهمها وتدخل قلبك، وإنك تتغير، لازم تتعب، لازم، الموضوع أكبر من إن هي كلمتين بتقراهم وتعرف معناها وخلاص وتبقى عارف إن الكلمة دي إن "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" العاديات:١، إن يعني الخيل اللي بتجري، الموضوع أكبر من كده،

الموضوع إن "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" دي بتجري وبتنطلق؛ لتعمل في سبيل الله، طيب إنت فين؟

القرآن يخاطب مشاعرك بأكثر من أسلوب

بنقول الله عز وجل خلق الخلق "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، فتكلم بهذا الكلام ليصلح هذا الخلق، وأخبر سبحانه أن الخلق يحتاجون إلى كلامه، وأنهم يتيهون ويضيعون بعيدًا عن كلامه.

علشان كدا القرآن بيخاطبك كبني آدم مش بيخاطبك على إنك أذن، أو على إنك عقل، لا بيخاطبك كلك؛ بيخاطب مشاعرك، ومشاعرك دي فيها خوف ورجاء وآمال وطموحات.

القرآن بيخاطبك كبني آدم، بيغيرك، يعني تلاقي جواك تساؤلات من غير ماتسألها القرآن يرد عليها، والقرآن –ما هو كلام ربنا– يعلم إن مشكلتك إنك انت مش خايف مثلًا من كذا، أو مش عارف قيمة كذا في الحياة، فالقرآن يصحح نظرتك للحياة، تصحيح النظرة للحياة.

القرآن بيخاطب في كل مشاعرك، عشان كده ما كانش مثلًا القرآن عبارة عن آية رقم واحد: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رقم اتنش إن فيه بعث، رقم تلاتة إن فيه جنة ونار، رقم أربعة إن فيه ناس هتدخل الجنة، القرآن مجاش كده هذه الحقائق القرآنية سيقت لأكثر من أسلوب بقصص السابقين وبالأمثلة وبالحكاية عن المستقبل بصيغه الماضي؛ عشان تعيش الحياة، صغيت بأكثر من أسلوب، يبقى القرآن بيخاطبك كقلب بيتأثر، بس احنا اللي مابنسمحش لنفسنا نتأثر.

لازم يكون لك نصيب من القرآن

طيب أنا مشغول، الكلام اللي انت بتقوله عاوز شيخ فاضي، لكن أنا مشغول مش فاضي للكلام ده، ربنا يقول إيه؟ "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ" المزمل: ٢٠، مش كل الناس هتعرف تعمل قيام الليل ده، وقيام الليل ده هو أهم حاجة لفهم كتاب ربنا، عشان كده ربنا يقول: "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ" المزمل:٦

المعاني التي تنشأ من قيام الليل بالقرآن "هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" المزمل :٦ أكثر سدادًا، وأشد تأثير على القلب، فربنا يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ" مش كل الناس هتعرف تدي الوقت ده للقرآن "فَتَابَ عَلَيْكُمْ" نعمل إيه؟ "فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ" المزمل:٢٠، يبقى لازم برضه يكون لك نصيب من القرآن.

لا يوجد عذر لترك القرآن

بس أنا تعبان، أنا باسافر أشتغل، دا أنا شغال، ممكن أشتغل على عربية وأسافر فترة طويلة؟، أنا باضرب في الأرض، أنا شغال، "عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" المزمل: ٢٠، طيب دول المفروض معتقدين إنهم معذورين صح؟ دول معذورين؟ "فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

برضه مش معذورين، أصل هو حتى المجاهد، أصل خلاص المريض، واللي شغال في الدنيا محتاج للقرآن، طيب المجاهد محتاج للقرآن؟ أه طبعًا لأنه هيجاهد غلط، نواياه هتخلط، هيجاهد من أجل الدنيا، هيضل حتى لو بيجاهد لو بعيد عن كتاب ربنا وعن معاني كتاب ربنا، وقيل "فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ" أي في الصلاة، في قيام الليل، حتى الناس توتر، توتر بس، بس توتر، قلب صافي وذهن خالي.

يعني حاول الوقت اللي تديه للقرآن ادهوله صح، ربع ساعة بس ربع ساعة صح، فضّي نفسك، اقفل موبايلك، اقفل مشاغلك، انسى الحياة، وافتح المصحف واقرأ، ادي لنفسك بس وقت صافي تقرأ، والله هتتغير، والله باحث عن الحق وطالب الهدى داخل القرآن الموقن بيتغير.

"أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا" الرعد:١٧، قيل الأودية دي القلوب، بقدرها يعني مقاسها، والماء اللي نازل ده القرآن، كل ما واحد بيشرب من القرآن، على قد ما قلبه مفتوح "فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ" كل ما تفتح قلبك للقرآن أكثر كل ما القرآن يسيل في قلبك، ويعطيك معاني أكثر.

كسّر الحاجز عشان القرآن يدخل قلبك

إنما واحد فاتح للقرآن قد كده، يدوبك مش سامح لأي حاجة تدخل، طيب انت اللي عملت كده؛ عشان كده يقول لك "كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ" الشعراء: ٢٠٠ قال سلكناه السلك ده زي إدخال الخيط في الإبرة، عاملين فتحة ضيقة جدًا فالقرآن مابينفذش منها؛ عشان كده في آخر سورة الحجر: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" الحجر: ٩٤.

كسَّر الحاجز ده عشان القرآن يدخل "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"الحجر: ٩٤، الإنسان مش مدي لنفسه مساحة لا يتعلم، ولا يقرأ، ولا يصلي قيام ليل، طيب هو عايش ازاي؟! يبقى هو مش مصدق، البعيد عن القرآن لازم يوقن أنه في ضلال، في ظلام –ده اللي عاوزين نخرج بيه– وفي تيه وفي مَوات، عكس الأوصاف اللي ربنا قالها الهدى، والبينات، والنور والبصائر، والروح "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ"الشورى: ٥٢.

الله أنزَّل القرآن كذلك على نبيه ليثبت به فؤاده

ده ربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– انت محتاج القرآن، لمَّا الكفار قالوا في سورة الفرقان "لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً" الفرقان: ٣٢ ما كان نزل مرة واحدة، ليه ينزل القرآن في ٢٣ سنة، فربنا قال له "كَذَلِكَ" يعني نزلناه مفرقًا منجمًا على ٢٣ سنة ليه؟ "كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ" الفرقان:٣٢، ليه، الهاء عائدة على القرآن، يعني إيه؟ "كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ"؟

يعني ربنا يقول له انت هيحصل لك مواقف في الحياة، المواقف دي مش هتثبت فيها من غير قرآن، مش هيحصل ثبات من غير قرآن، الإنسان أما يقرأ أي سورة، سورة الكهف، سورة يوسف، حتى السور اللي انت بتحبها، ادّي لها مساحة ذهنية وقلبية من حياتك هتلاقي حياتك اتغيرت، النبي– صلى الله عليه وسلم– "مَن قرَأ سورةَ الكهفِ يومَ الجمُعةِ أضاء له منَ النورِ ما بين الجمُعتينِ" حسنه الألباني، في نور قضيت به الأسبوع من سورة، أُمَّال اللي بيقرا القرآن بقى؟! عايش إزاي؟! شايف الحياة على حقيقتها.

تأملات في سورة الكهف

مفارقة بين صاحب الجنتين وذو القرنين

عشان كده في سورة الكهف اللي بتدينا نور، صاحب الجنتين لمَّا راح يبهر الرجل المؤمن اللي ما معهوش فلوس، قال: "أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" الكهف:٣٤ فالثاني المذكور في سورة الكهف اللي بتديك النور، هو شايف الحياة على حقيقتها "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا" الكهف:٣٧

وفي الآخر بيقول له "فَعَسَى رَبِّي" كل الموضوع اللي انت فيه ده بكلمتين "فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا" الكهف:٤٠ الموضوع يخلص،كل اللي انت فيه ده إنت عمَّال تقول في أول السورة "مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا" الكهف:٣٥ لا يمكن تروح، شوف بقى الفرق بين صاحب الجنتين الأعمى لما بص على جنته وقال "مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا" الكهف:٣٥.

وذو القرنين البصير اللي لما تعب، وبنى السور –السد–، في الآخر بيقول إيه؟ "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي"الكهف:٩٨، مقالش هذا من جهدي وتعبي، قال "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" الكهف:٩٨، الثاني لما دخل جنته قال: "مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ" الكهف:٣٥، لا يمكن تروح، أغلب الطغاة بيقولوا على أملاكهم وسلطانهم "مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ"، بشار معتقد أنه "مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا" معتقد لا يمكن تروح.

القرآن يجعلك ترى بنور الله

عشان كده يقول الرجل الفقير اللي كان مع صاحب الجنتين "فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا" الكهف ٤٠:٤٢ بيقولوا هو عرف منين؟،كان يرى بنور من الله، هو ده القرآن يخليك تشوف، تقول فلان هيسقط، مستحيل انت ترى مش لازم أنا اللي اشوف، بس قطعًا مش هيستمر.

حقيقة التعامل مع المال من سورة سبأ

انت عندك حقائق شايفها من القرآن، عارف، موقن، عارف مثلًا حقيقة "وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" سبأ: ٣٩ حقيقة سبأ في الأموال، السياق كله سياق أموال "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"سبأ٣٤:٣٧

"قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" سبأ: ٣٩.

دي سنة من سنن الحياة في التعامل مع المال، بتخليك تتغير في التعامل مع الفلوس، آيات زي دي تفوقك، تخليك وانت بتتعامل مع الفلوس وانت بتطلع لله، بتخليك تطلع وأنت عندك يقين "فَهُوَ يُخْلِفُهُ" سبأ: ٣٩ يقين القرآن بيغير لك مفاهيمك، بيخليك مختلف عن الناس.

حقيقة الصدقة من القرآن

ربنا يقول: "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ" البقرة:٢٧٦ يعني أنا عندي ألف جنيه، واحد تعامل بالربا بقت ألف ومائتين، واحد تعامل بالصدقة بقت تسمعائة، القرآن يقول التسمعائة أكثر من الألف ومائتين، أنا موقن أنا عندي يقين إن "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ"، ينمي الصدقات، أنا ده عندي، دي قواعد من القرآن، مفيش حاجة هتتغير في حياتي أبدًا، دي لا يمكن تتغير في حياتي.

عشان كده عاوزك وانت بتقرأ القرآن عايزك ببساطة الحقائق الأساسية في القرآن، وانت بتقرأ القرآن اسأل نفسك ربنا عمل إيه؟، ربنا بيعمل إيه؟، تجد إن ربنا يبسط الرزق، بقى عندك يقين إن ربنا اللي بيرزق، تجد الله يحيي ويميت، بقى عندك يقين إن محدش هيضرك وينفعك غير ربنا.

حقيقة يجب أن يوقن بها المُجاهد

عشان كده المجاهد اللي رايح يجاهد في سبيل الله لازم يبقى موقن إن الجهاد مش هو اللي بيموت، ودي عمومًا ما يفهمها من غير القرآن "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا" آل عمران:١٥٦ وقبلها في نفس الصفحة كان بيقولوا لو كنا قعدنا في بيوتنا "لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا" فربنا بيقول إيه "قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ" آل عمران:١٥٤.

لو انت في بيتك وجه ميعاد موتك هتلاقيك فجأة من نفسك بتخرج وماشي ماشي، ماشي رايح لمكان الموت وقمت حاطط رأسك عشان تموت في المكان بتاعك، حتى ربنا سماه مضجع، "لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ" هيخرج يُروح عشان يموت في المكان دا، دي حقائق ما تجيش إلا من القرآن، ولو أنا قلتها لك ممكن

ماتصدقنيش، أصل أنا مين؟!

الحقيقة تكتسب قيمتها من قائلها

لما يقول لك عايز أقول لكم حقيقة علمية مثلًا في الكهرباء، مين اللي قال المعلومة دي؟ دا الحج فلان يا عم، هيقول لك اللي قال المعلومة العالِم الفلاني المشهور فتصدق، لما يقول لك معلومة، أي حاجة مثلًا عن المحمول اللي معاك، دا يقول لك خلي بالك المحمول علشان تحافظ عليه لما تيجي تحطه في الشاحن خذ بالك من كذا.

خذ بالك إن اللي قال المعلومة دي الشركة اللي مصنعاه فتلاقي المعلومة اكتسبت عندك يقين، وبدأت تتعامل بجد، لما الله يقول هذه الحقائق القرآنية أنا عايزك تتعامل مع القرآن أنه حقائق، دي حقائق لما تقرأ "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" الرعد:٢٦ دي حقيقة.

لا يفهم الحقيقة إلا مَن استنار بنور القرآن

لما قعدوا يقولوا لقارون ماينفعش اللي انت بتعمله دا "وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ" القصص: ٧٧ اللي انت بتعمله دا ماينفعش "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" ماينفعش، ماينفعش "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" القصص٧٦:٧٧ عمل إيه قارون؟ قال الناس دي هتقعد تتكلم عليَّ، عمل حاجة واحدة بس، عايز يغير تفكيرهم في الحياة عمل إيه؟ "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ" عارف إن ضغط البهرجة على العيون أخطر من الكلام.

"فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" القصص:٧٩ بس "فَخَرَجَ عَلَى": استعلاء "فِي زِينَتِهِ": في كامل زينته، أول لما شافوه بعض اللي كانوا بينصحوه قالوا إيه دا احنا ظلمنا قارون والّا إيه، دا شكله راجل طيب وأكيد بيوزع وجبات خيرية على الناس، أكيد احنا ظلمنا قارون، بدأو يغيروا مبادئهم "قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" القصص:٧٩.

فيه ناس شايفة مهما فلان جه، فلان مشي الرئيس الطاغية الفلاني، أمريكا، هي شايفة حقائق مابتتغيرش بالأحداث، شايفة حقائق "قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" القصص:٧٩.

الحقيقة دي مش أي حد يفهمها، "وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا" فصلت:٣٥، إلا الصابرون، الحقيقة دي مش أي حد يفهمها، انت ممكن "يصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا" صحيح مسلم، ليه القلبان دا ليه؟!

"يبيعُ دينَه بعرضٍ من الدنيا" صحيح مسلم، قليل، ليه؟ هو ماعندوش نور، هو مش شايف، هو تايه في الحياة، إنما واحد نازل قرأ بالليل كلمتين، شاف أفعال الله انبهر بأفعال الله في القرآن، وأصبح عنده يقين في البعث.

دا القرآن بيتكلم في أغلب الأحوال عن الجنة والنار إن هي أمر فرُغ منه، يعني يقول "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا" فصلت:٢٤، قالوا "رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ" فصلت :٢٩ كأن هم خلاص دخلوا في النار وقالوا كدا.

القرآن بيعلمك إن دي حقائق "أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" النحل :١ يكلمك أن الموضوع بالنسبة لك حقائق؛

عشان كدا أكثر الناس انتفاعًا بالقرآن هم الذين يؤمنون بالغيب، "الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ" بس مش لأي حد "هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" البقرة١:٣ ، اللي مش مصدق إن فيه غيب مش هينتفع بالقرآن، أغلب القرآن غيب، أغلب كلام القرآن بيحدثك عن ما لا تراه؛ عشان كدا المؤمن يبصر ما لا يبصره الناس، المؤمن يبصر ما لا يبصره الناس من خلال نور ربنا سبحانه وتعالى في كتاب الله.

عايزين نترفَّع عن الشكليات

حتى لا أطيل عليكم عايزين مايقاش كلام اتقال، مانبقاش قُلنا القرآن حلو، القرآن جميل، القرآن بلاغي حلو، عايزين القرآن يدخل قلوبنا وحياتنا، عايزين لا نتعامل مع القرآن تعامل سطحي؛ لذلك بيروى عن أكتر من أحد السلف والصحابة أن "إذا زخرفتم المساجد وزينتم المصاحف فانتظروا الدمار" هو مش المقصود إنك أول ما تعمل كدا، المقصود إن لما تنشغلوا بالشكليات عن الأساس يبقى انتوا بتهلكوا، أهم حاجة المسجد يبقى شكله حلو، طيب والصلاة والخشوع؟!

ولذلك أول عِلم بيرفع الخشوع حتى بيقول النبي –صلى الله عليه وسلم– "يوشِكُ أن تدخُلَ مسجدَ جماعةٍ فلا ترَى فيهِ رجلًا خاشعًا" صححه الألباني، وكذلك تزيين المصاحف، المصحف بتاعي أنا أزرق، وانت معاك مصحف أخضر، أنا معايا مصحف أحمر، أنا معايا مصحف دهبي من جوه، بقت هي دي، أنا معايا مصحف قطيفة، بقى الانشغال بما حوله، في طريقة الأداء.

فين القرآن؟! فين كلام ربنا اللي الملائكة كان بيُسمع لها صوت "كأنَّهُ سلسلةٌ على صفوانٍ" صحيح البخاري، كصوت خبطة السلسلة على حجر، "خُضعانًا لقولِه" صحيح البخاري، إن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما كان ينزل عليه الوحي كان في أشد الأوقات برودة كان يتصبب العرق، وكان في كل مرة ينزل عليه الوحي يظن أنه يُقبض يموت وكادت رجله تنكسر، أحد الصحابة رجله كانت بجوار رجل النبي –صلى الله عليه وسلم– أثناء نزول الوحي كادت رجله تنكسر "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل :٧٣

أسوأ شيء التعامل الباهت مع كلام ربنا

تلاقي مذيعة متبرجة وجايبين واحد عايزين يقضوا عليه البرنامج ويقعدوا يقولوا له: بقى موضوع الحدود دا هتعملوا فيه إيه؟ وموضوع الخمرة؟ أهكذا يُتعامل مع كلام الله من فوق سبع سماوات؟! "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ" مريم:٩٠، في أول الشورى بعد الوحي "كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" الشورى:٣ "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ" مريم:٩٠

بعد الوحي على طول "مِنْ فَوْقِهِنَّ" الشورى:٤

كل دا تأثر العالم بالوحي واحنا نتعامل التعامل الباهت دا، مجرد تعامل أصل ينفع وماينفعش ،كلام الله محتاج قلب يعظم، قلب مليء بالمشاعر، قلب عطشان للهدى، قلب باحث عن النور، قلب يبحث عن الهدى مشتاق، ده

قلب يتعامل مع القرآن، هيحتاج تفسير صغير، بعض الكلمات، بعض التوجيهات لكن الأصل دا، دا الأصل غياب هذا القلب.

الآية الواحدة كانت تُغير في مفاهيم من سبقونا

الأعرابي اللي ما بيفقهش أي شيء، آية واحدة كانت تزلزله "وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" الزلزلة:٨ هي دي آية محتاجة شرح؟ إن كل ذرة عمل شر هتشوفها في الدنيا قبل الآخرة، دي آية تزلزل، لذلك لما أمنا عائشة تتصدق بعنباية ماعندهاش غيرها يقولوا لها: عنباية؟ فتقول: "كم فيها من ذرات؟!" "مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" الزلزلة:٧ يبقى الآيات كانت بتغير في مفاهيمهم، كانت تنزل تغير من مفاهيمه ومن حياته.

"إِنْ تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ" البقرة:٢٨٤ وقفوا مكانش يسمع الآية يعديها، إيه دا يعني أنا في أحلام اليقظة والشهوات اللي بتدور في صدري وباحلم بيها أتحاسب عليها؟ أو أي فكرة عابرة تيجي في ذهني أتحاسب عليها؟ فراحوا جري للنبي –صلَّى الله عليه وسلم–، فالشاهد إن مكانش الآية تعدي.

قد تكفيك آية

هو دا التعامل مع كتاب ربنا محتاج قلب يقظ، قلوب طاهرة ومنهج صافي –القرآن– ومكان طاهر في مسجد "يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينةُ وغشيتْهم الرحمةُ وحفّتهم الملائكةُ وذكرَهم اللهُ فيمن عنده" صحيح مسلم

عايزين نتفاعل مع كتاب ربنا، كل إنسان لازم يبقى ليه دور، كل إنسان لازم يبقى ليه دور في كتاب ربنا، يُعلم أبناؤه القرآن، يفهم آية، يسأل عن معنى آية، قد تكفيك آية.

الإمام الشافعي قال إن سورة العصر تكفي المسلمين، يبقى الإنسان يبذل، يعلم الناس آية، إيه يعني لما تكلم حد تعلمه آية، وانت قاعد في الشغل، تقول له والله دا أنا امبارح كنت باسمع آية كذا في كتاب ربنا فأنا فهمتها عايز أقولها لك " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ" النمل ٩١: ٩٢، أي وأمرت أن أتلو القرآن، من وظائف النبي –صلَّى الله عليه وسلم– تلاوة القرآن على الناس "يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ" البقرة: ١٥١ مفيش تزكية من غير كتاب الله عز وجل.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، اللهم اجعلنا من أهل القرآن، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم ارزقنا فهمًا في كتابك وسنة نبيك، اللهم ارزقنا العمل بالقرآن، اللهم ارزقنا المجاهدة بالقرآن، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا يا رب العالمين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36